حسن الصحبة

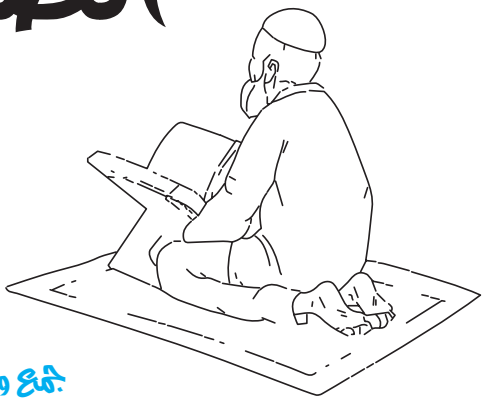

جمع وترتيب

أسامة الأباصيري

دار الخلفاء الراشدين — دار الفتح الإسلامي

الإسكندرية ـ أرض شاكوس ـ ش ٤٩٤ كاستنيا متفرع من ش مصطفى كامل الرئيسي ـ برج الحمد

ش عمر ـ متفرع من ش أحمد أبو سليمان ـ أمام مسجد الخلفاء الراشدين

مصطفى كامل ـ ش إبراهيم الشريف ـ بجوار كيروسيز مول

٠١٠٠٥٠١٣١٥١ - ٠١١٢٠٠٠٤٦٤٦ ٠١١٢٦٥٠٠٦٩٦ - ٠١٠٩٤٥٥٥١٥٧

طبع • نشر • توزيع

حسن الصحبة

١٤٤٢هـ - ٢٠٢٢م

حقوق الطبع محفوظة

حقوق الطبع وإعادة النشر، كاملاً أو جزئيًّا، بوسائل الإعلام المطبوعة والإلكترونية كافة، محفوظة لـ«دار الخلفاء الراشدين» ولا يسمح بإعادة النشر دون اتفاق سابق وخطي معها.

رقم الإيداع

٢٦٨٢٨ / ٢٠١٦م

القطع: ١٢×١٧ سم
عدد الصفحات: ٦٤
سنة الطبع: ١٤٤٢هـ - ٢٠٢٢م
الطبعة: الأولى

2888

دار الخلفاء الراشدين
دار الفتح الإسلامي

الإسكندرية - أرض شاكوس - ش ٤٩٤ كاستنيا متفرع من ش مصطفى كامل الرئيسي - برج الحمد
ش عمر - متفرع من ش أحمد أبو سليمان - أمام مسجد الخلفاء الراشدين
مصطفى كامل - ش إبراهيم الشريف - بجوار كروسيز مول
٠١٠٠٥٠١٣١٥١ - ٠١١٢٠٠٠٤٦٤٦ ٠١١٢٦٥٠٠٦٩٦ - ٠١٠٩٤٥٥٥١٥٧
طبع • نشر • توزيع

مقدمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام علىٰ من لا نبي بعده وبعد، فهذه محاولة سعيت من ورائها إيجاد أجوبة شرعية للعديد من الأسئلة والتي تهم حامل القرآن للوصول إلىٰ الشخصية القرآنية والتي أحسنت مصاحبة القرآن في الدنيا، لتنل مصاحبته بالآخرة.

قال ابن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

رُبَّ عَمـلٍ صغـير تُعَظِّمُـهُ النيـة

ورُبَّ عَمـلٍ كبـير تُصَغِّـرهُ النيـة[1]

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ...﴾ الآية [البقرة:٢٣٥].

خطة البحث:

تتكون رسالتي من:

- مقدمة
- ثمانية فصول
- المواضيع
- بين يدي الكتاب
- الخاتمة
- المصادر

(١) أورده ابنُ أبي الدُّنيا في «الإخلاص والنِّيَّة» (ص٧٣).

بين يدي الكتاب

المُطَّلِع علىٰ حالنا يلحظ انتشار داء خطير بيننا أدي إلىٰ كسل عظيم في باب الطاعة سيما طلب العلم، نظرًا لتعلق القلب بالدنيا، وانشغاله عن الآخرة.

قال بعض السلف: «إذا قصر العبد في العمل؛ ابتلاه الله بالهموم»[١]

وقال الإمام أحمد: «إن أحببت أن يدوم الله لك علىٰ ما تحب؛ فدم له علىٰ ما يحب»[٢]

وكم نحتاج مزيد فكر فى مقولة أبي بكر رضىٰ الله عنه وذلك حين قدم أهل اليمن في خلافته، فلما سمعوا القرآن جعلوا يبكون، فقال أبو بكر: «هكذا كنا ثم قست القلوب»[٣]

ماذا لو كنت بيننا الآن، وقد رأيت قلوبًا نفرت من القرآن، فماذا أنت قائل عن داء جعل الحياة موحشة مظلمة رتيبة رغم كثرة الشهوات، واختلاف الملذات

---

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد» (ص ١٠)، وعنه الخطيب في «التاريخ» (٧/ ١١١) وضعفه الألباني في «الضعيفة».

(٢) «البداية والنهاية» (١٠/ ٣٣٠).

(٣) لا يثبت عن أبي بكر الصديق، حيث إنه يروىٰ عن أبي بكر -مرسلًا- ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٥٥٢٤)، وأبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص١٣٥)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٣٣).

تري ما هو الداء؟

إنه قسوة القلب الناتج عن هجر القرآن وعدم اتخاذه صاحب.

وصدق الله إذ يقول: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ...﴾ الآية [البقرة:٧٤]

قال القرطبي: «خلوها من الإنابة والإذعان لله تعالىٰ»[١]

وقال تعالىٰ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ...﴾ الآية [الزمر:٢٢]

قال الشيخ السعدي: «مُعرضة عن ربها، ملتفتة إلىٰ غيره»[٢]

وما رق قلب وانكسر إلا بمصاحبته للقرآن.

قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «حادثوا هذه القلوب فإنها سريعة الدثور»[٣].

ولا أحفظُ لقلوبنا بمثل مصاحبة كلام ربنا والإقبال علىٰ العلم بالله تعالىٰ.

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالصواب العكوف علىٰ العلم مع تلذيع النفس بأسباب المرققات»[٤]

والله خيرٌ حافظًا.

(١) «تفسير القرطبي» (١/ ٤٦٢).

(٢) «تفسير السعدي» (١/ ٧٢٢).

(٣) «حلية الأولياء» و«طبقات الأصفياء» (٢/ ١٤٤).

(٤) «صيد الخاطر» (١/ ١٦٠).

الفصل الأول
مع القرآن

عناصره:

١) فضل ارتباط القلب به.

٢) وجوب تدبره.

٣) مغبة عدم تدبر القرآن.

٤) من هم أهل الله.

أولًا: فضل ارتباط القلب بالقرآن:

• **قال الإمام الشاطبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]:

(١١٢١) رِوىٰ القلب ذكر الله فاستسق مُقبلًا
ولا تعدُ رَوضَ الذَّاكِرين فتُمحَلا

أي أن نور القلب وضيائه ذكر الله.

(١١٢٢) وآثر عن الآثار مثراة عَذبِه
وما مِثلُهُ للعبد حِصْنًا ومَوئِلا

آثر ذكر الله علىٰ حطام الدنيا لأنه الموصل إليه سبحانه.

(١) «الشاطبية» (١١٢١ ١١٢٥).

(١١٢٣) ولا عمـــلٌ أنْجَـي لـه مِنْ عَـــذَابِه

غـداة الجَـــزا مِـنْ ذِكـرِه مُتقَبَّـــلا

فالمُخَلِّص يومها ذكر الله تعالىٰ ولا مثل له.

(١١٢٤) ومَـنْ شَـــغَل القُـــرآنُ عَنـهُ لِسَـانَه

يَنَـلْ خَـــيرًا أجْـرَ الذَاكريـن مُكَـمَّلا

وهذا الذي شغله ذكرُ الله عن ذكر غيره.

(١١٢٥) ومـا أفضَـلُ الأعمـــال إلا افتتاحِـــه

مـع الخَـتْم حِـلًا وارتحـالًا مُوَصَّـلًا

وهذا الذي شرع في تجديد ختمه للقرآن مواصلًا قراءته بتدبرٍ.

• **وقال الحَسَنُ البَصْرِي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «تَفَقَّدوا الحَلاوَةَ في ثَلاثَةِ أشْيَاء: في الصَّلاة، وفي الذِّكرِ، وفي قِرَاءَةِ القُرآنِ»[(١)]

• وقال بن تَيمِية رحمه الله تعالىٰ: «مَا رأيت شَيئًا يُغَذِّي العَقْلَ والرُّوحَ، ويَحفَظُ الجِسْمَ، ويَضْمَنُ السَّعَادة أكثَرَ مِنْ إدَامَةِ النَظَرِ في كِتَابِ اللهِ تعالىٰ»[(٢)].

---

(١) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٣١٨) وفي سنده نظر، وكذلك ذكره ابن رجب الحنبلىٰ فىٰ كتابه «نزهة الأسماع في مسألة السماع» (ص٨٤)، وذكر ذلك الشيخ القشيرىٰ فىٰ «الرسالة القشيرية»، والبيهقىٰ فىٰ «شعب الإيمان».

(٢) «مجموع الفتاوىٰ» (٧/ ٤٩٣).

• وقال بن عباس وعكرمة: «من قرأ القرآن لم يرد إلىٰ أرذل العمر»[١].

استنباطًا من قوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [النحل: ٧٠].

وقال عبد الملك بن عمير: «أبقىٰ الناس عقولًا قرَّاء القرآن»[٢].

• وقال أبو هريرة: «إن البيت الذي يُتلىٰ فيه القرآن اتسع بأهله، وكَثُر خيره، وحضرته الملائكة، وخرجت منه الشياطين»[٣] مختصرًا.

• وقال سفيان الثوري عن حبيب بن أبي عمرة: «إذا ختم الرجل القرآن قبَّل المَلَك بين عينيه»[٤].

• قال ﷺ: «**اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ..**»[٥].

ثانيًا: وجوب تدبره:

قال الله تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ ...﴾ الآية [ص: ٢٩].

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «والتدبر عند القراءة هو المقصود المطلوب، وبه تنشرح الصدور، وتستنير القلوب»[٦].

---

(١) رواه الحاكم (٢/ ٥٢٨) وقال: صحيح الإسناد، وصحّحه العلاّمة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٤٣٥).

(٢) «الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ١٤٦).

(٣) رواه الدارمي في سننه من كتاب فضائل القرآن، باب فضل من قرأ القرآن، وإسناده صحيح، وهو من أمور الغيب، ولا يمكن أن يقال بالرأي؛ لذلك فإنه يكون في حكم المرفوع.

(٤) رواه الخطيب في «التاريخ» (١٣/ ٤٤).

(٥) رواه مسلم (٨٠٤).

(٦) «الأذكار» (١/ ٨٧).

قلت: واللَّام بالآية تدل أن القرآن نزل لِتَدبُّر مضمونه والتفَكُّر في مفهومِه عِبرَةً وعِظَةً وامتِثَالًا وحِكمَة.

وكان بن قُتيبة رَحِمَهُ اللَّهُ قد استنبط من قوله تعالىٰ: «إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكرىٰ لِمَنْ كَانَ لَه قَلْبٌ أو أَلْقَي السَّمْعَ وهو شَهيد».

استَنْبَط خُطُواتٍ خَمْس لحصُولِ التَدَبُّر:

الخطوة الأولي: المؤثِّر وهو القرآن.

الخطوة الثانية: المَحَل القَابِل وهو القَلْبُ الحَيّ.

الخطوة الثالثة: الشرط وهو الإصغَاء.

الخطوة الرابعة: انتفاء المانع وهو اشتغال القَلب، وذُهولُه عن معني الخِطَاب.

الخطوة الخامسة: حصول الأثر وهو الانتفاع والتأثر والتذكر[١].

ثالثًا: مَغَبَّة عدم تدبره:

عن عقبة بن عامرعن النبىٰ ﷺ قال: «**سَيَخرُجُ أقوَامًا من أُمَّتي يَشْرَبونَ القُرآنَ كَشُربِهم اللبن**»[٢]

قال العلَّامة المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ:«أي يسلِقُونَه بألسِنَتَهم من غيرِ تَدبُّر لمعانيه ولا تأمُّل في أحكامه بل يمُرُّ علىٰ ألسنتهم كما يَمُرُّ اللبن المشروب عليها بسرعة»[٣].

---

(١) «الفوائد» لابن القيم (ص ٣).

(٢) أخرجه الفريابي في «فضائل القرآن» (١٠٩)، والروياني في «المسند» (٢٤٩)، والطبراني (١٧/ ٢٩٧) (٨٢١) واللفظ له، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٦٥٣).

(٣) «فيض القدير» (٤/ ١١٨).

رابعًا: من هم أهل الله:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنْ النَّاسِ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «**هُمْ أَهْلُ الْقُرْآنِ، أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُهُ**»(١)

قال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «حَفَظَة القُرآنِ العَامِلون بِهِ، هُم أولِيَاءُ اللهِ المختَصُّون بِهِ، سُمُوًا بِذَلِك، تَعْظِيمًا لَهُم، كَمَا يُقَال بَيْتُ اللهِ»(٢)

وقال الحَكيم التِرمِذِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإنَّمَا يكونُ هَذا في قَارِئ انتَفَي عَنهُ جَوْرُ قَلبِه، وذَهَبَت جِنَايَةُ نَفْسِه، ولَيس مِنْ أهلِه، إلا مَنْ تَطَهَّر مِنَ الذُنُوبِ ظَاهِرًا وبَاطِنًا، وتَزَيَّن بِالطَاعَةِ، فعِندهَا يَكونُ مِنْ أهْلِ الله»(٣)

وقال الإمام النَووَي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أن يَكونَ عَلَي أكمَلِ الأحوَال، وأكرَمِ الشَّمَائِلَ، وأنْ يُرَفِّعَ نفسَهُ عَنْ كُلِ ما نَهَي القُرآنُ عَنْهُ، إجلالًا للقُرآنِ، وأن يَكونَ مَصُونًا عَنْ دَنِيء الاكتساب، شَريفَ النَّفسِ، مُرتَفِعًا عَلَي الجَبَابِرة والجُفَاةِ مِنْ أهلِ الدُنيَا، مُتوَاضِعًا للصَالِحِينَ وأهْلِ الخَيرِ والمسَاكين، وأنْ يَكونَ مُتخَشِّعًا ذا سَكِينَةٍ ووقَار»(٤).

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢١٥) وأحمد (١١٨٧٠) وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (١٧٩).

(٢) «فيض القدير» (٣/ ٨٧).

(٣) المصدر السابق.

(٤) «التبيان في آداب حملة القرآن» (ص ٥٤) الباب الخامس.

الفصل الثاني
آداب حملة القرآن

من أقوال الفضيل الجعبري الآجري، قال الفضيل رَحِمَهُ اللَّهُ: «يَنبَغِي لِحَامِلِ القُرآنِ أنْ لا تَكونَ لَه حَاجَةً إلىٰ أحَد مِنَ الخُلَفَاءِ فَمَنْ دونَهُم، لأنَّ بِهِ يُهَذَّب السُلوكُ، وتَزكُو النُفُوسُ، وتُنشَرُ الأخلاقُ الفَاضِلَة»[١]

أقول: وخَيرُ مَنْ امتَثَلَهَا هو ﷺ اللبنة المثلي لهذا المُجتَمَعِ المِثَالِي، والذي لَم تعرف البَشَرِيَّةُ مِثلِه ﷺ هو وأصحابه الكرام الذين زكاهم الله في كتابه ومدحهم ﷺ في سنته.

وقال عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يا مَعشَر القُرَّاء ارفَعُوا رؤوسَكم، فقد وَضَح لكُم الطَرِيقُ، فاستَبِقوا الخَيرَا، لا تَكُونُوا عِيَالًا عَلَي النَّاس»[٢]

وقال الإمام الجعبَري: عن حَامِلُ القُرآنِ:«كُلُّ مَنْ أتقَنَ حِفظَ القُرآنِ، وأدمَنَ دَرسَه، وأحْكَمَ تَجويْدَ ألفاظِه، وعَلِمَ مَبَادِيَه ومَقَاطِعَه، وضَبَط رُوَايةَ قِرَاءتِه، وفَهِمَ وجوهَ إعرَابِه ولُغَاتِه، ووقَفَ علَي حَقيقَةِ اشتِقَاقِه وتَصرِيفِه، ورَسَخَ في ناسِخِه ومَنسُوخِه، وأخَذَ حظًّا وافِرًا مِنْ تَفسِيرِه وتَأويلِه، وصَانَ نَقلَه عن الرأي، وتحَافَي عَن مَقَاييسِ العَرَبيَّةِ،

(١) «التبيان في آداب حملة القرآن» (ص ٥٤) الباب الخامس.

(٢) المصدر السابق.

ووسِعَتهُ السُّنَّةُ، وجَلَّله الوَقَار، وغَمَرَه الحَيَاء، وكَان عَدِلًا مُتيَقظًا وَرِعًا، مُعرِضًا عَنْ الدُّنيَا، مُقبِلًا عَلَي الآخِرَةِ، قَريبًا مِنَ اللهِ»

قال: «فهوَ الإمَامُ الذي يُرجَعُ إليه، ويُعَوَّلُ عليه، ويُقتَدَي بأقوالِه، ويُهتَدَي بأفعَالِه»[١].

قال ﷺ: «مَنْ تَعَلَّم عِلمًا مِمَّا يُبتَغَي بِهِ وَجهُ اللهِ ﷻ لا يَتَعلَّمَهُ إلا ليُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنيَا، لم يَجِدْ عَرْفَ الجَنَّةِ يَومَ القِيَامةِ»[٢]

يعني: ريحَهَا.

قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ «قُرَّاء القُرآنِ ثلاثة»:

• رَجلٌ اتَّخَذَه بِضَاعةً، يَنقِله مِنْ مِصْرٍ إلىٰ مِصْرٍ، يَطلُبُ بِهِ مَا عِندَ النَّاسِ.

• وقَومٌ حَفِظُوا حُروفَه، وضَيَّعوا حُدودَه، واستَدَرُّوا بِهِ الولاةَ، واستطَالوا بِهِ عَلَي أهلِ بِلادِهم، وقد كَثَّر اللهُ هذا الضَّربَ في حملة القرآن، لا كَثَّرهُم الله.

• ورَجُلٌ قَرَأ القُرآنَ، فبَدأ بِمَا يَعلَمُ مِنْ دَوَاءِ القُرآنِ، فوَضعَه عَلَي دَاءِ قَلبِه، فَسَهِرلَيلَه، وهَمَلَت عَينَاه»[٣]

قال تعالىٰ: ﴿ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ...﴾ الآية [آل عمران: ١١٣]

---

(١) «الكاشف عن حقائق السنن» (٤/ ١٤٥٥).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٦٦٤)، وابن ماجه (٢٥٢)، وأحمد (٨٤٥٧)، وصححه الألباني.

(٣) «فضائل القرآن» للقاسم بن سلام (١٢٤)

وقال تعالىٰ: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ ..﴾ الآية [البقرة: ١٢١]

قال مجاهد: «يعملون به حق عمله»[(١)].

وقال الإمام الآجري رَحِمَهُ اللَّهُ **في وصف القُرآني:** «فأولُ ما يَنبَغِي له، أنْ يَستَعمِلَ تَقوَى اللهِ في السِّر والعَلانِية باستِعمَالِ الوَرَعِ في مَطعَمِه ومَشرَبِه ومَلبَسِه ومَسكَنِه بَصيرًا بِزَمَانِه، وفَساد أهلَه.

إنْ تَكَلَّم فَبِعِلْمٍ، وإنْ سَكَت فبعلم أيضًا.

قَليلُ الضَحِك، بَاسِطُ الوَجه، طَيبُ الكَلام، لا يَغتَاب أحدًا، ولا يُحَقِّره، ولا يَسُبُّه، ولا يَشمَتُ بمُصِيبتَه، ولا يَبغِي عَليه، ولا يَحسِدُه، حافِظًا لجَوَارِحِه، مَاقِتًا للكِبْرِ، لا يَتأكَّلُ بالقُرآنِ، ولا أنْ تُقضَي بِه الحَوَائِج.

يَحذَرعَلَي نَفسِه مِنَ الدُّنيا، ويَقنَع بالقَلِيلِ، قد جَعَل القُرآنَ والسُّنَّةَ مَنهَج حَيَاتِه، يَصِلَ الرَّحِمَ، ويَكرَه القَطيعَةَ.

ومن كان هَذا وَصْفَه، نَفَع نَفسَه وأهلَه ووالديهِ ووَلَدَه في الدُّنيَا والآخِرةِ»[(٢)] بتصرف.

قلت: كما ينبغي له أن يتحلي بالسخاء والجود ومكارم الأخلاق.

(١) «تفسير الطبري».

(٢) «أخلاق حملة القرآن» (ص٢٧)

قال بن عبَاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «... فَلَرسُولِ الله ﷺ أجوَدُ بالخَيرِ مِنَ الريحِ المُرسَلَةِ»[١]

كَذلِكَ يُوصَفُ بِطَلَاقَةِ الوَجهِ والحُلُمِ والصَّبرِ.

فلقد عاتب اللهَ -سُبحَانَه- نبيه ﷺ في وَقعَةِ ابنِ أُمِّ مَكتُوم، ونَزَلَت آيات تُتلى إلىٰ أن يرث الله الأرض ومن عليها سُورَةِ عَبَس لِنَأخُذَ نحن الدَّرسَ والعِبرَةَ والحِكمَةَ والعِظَةَ.

فأحسِن إلىٰ مَنْ أسَاء.

وكُن مِمَّنْ قال اللهُ فِيهِم: ﴿... خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ الآية [مريم: ٥٨] ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ [الإسراء: ١٠٧].

وكُن مُتوَاضِعًا لِمُعَلِمِك مُتَأدِّبًا، ولو كان الأصغَرُ سِنًّا.

بل كن معه بِعَينِ الاحتِرامِ والوَقَارِ.

واحرص علىٰ العلم مِمَّن كَمُلَت أهلِيَّته، وظَهرَت ديَانَته، وتَحقَّقَت مَعرِفته، واشتَهرَت صِيانتَه، إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم[٢]

ولتكن مخصًا لشيخك بالتحية، جالسًا أمامه دون اشارة بيد ولا غمز بعين، أو ذكر لأقوال مخالفيه، أو أخذ بثوبه حال قيامه، أو إلحاح عليه إذا كسل أو شبع، وينبغي أن ترد غيبته، وإلا فارحل.

---

(١) أخرجه البخاري (٦).

(٢) الإمام مسلم في «مقدمة الصحيح» (١/ ١٦).

وادخل عليه كامل الهيئة والخصال، فارغًا عن الشواغل مستئذنًا غير رافعٍ لصوتٍ، ولا تقرأ عليه وقت شغله ومللِه وغمه وفرحه وعطشه ونعاسه وقلقه متحملًا جفوته لازمًا بابه حتي يفتح.

وأقول: إن الشخصية القرآنية هي سلوك وموقف وقيم تُنهل من مَعين الرسائل الربانية.

لذا قال القاضي عياض رحمه الله تعالىٰ: «حَامِلُ القُرآنِ حَامِلِ رَايةِ الإسلام»[١]

قال: أ/ محمد قطب: «أنْ يَتحَوَّل َالاستماعُ إلىٰ القُرآنِ وتِلاوَتِه والتأثُّرُ به إلىٰ هُدَيً، وإلي سُلوكٍ»[٢]

لِذا قال جَندب بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كُنَّا مع النَّبي ﷺ ونحن فِتيَان حَزَاوِره، فَتَعلَّمنَا الإيمَان قَبلَ أنْ نَتعلَّمَ القُرآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمنَا القُرآنَ فازددنَا بِه إيمَانًا؟[٣] وقال ﷺ: «تعلَّموا القرآن وسَلوا الله به قبل أن يتعلمه قوم يسألون به الدنيا، فإن القرآن يتعلمه ثلاثة نفر:رجلٌ يُباهي به، ورجلٌ يستأكل به، ورجلٌ يقرأه لله»[٤]

وسؤالي وكن صادقًا من أنت منهم؟

---

(١) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٩٢)

(٢) «كتاب دراسات قرآنية»، فصل: «كيف نقرأ القرآن» (ص ٥٠٨).

(٣) صححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (٥٢).

(٤) حسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٥٨).

هل قمت يومًا ما بآية كفعله ﷺ:

﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ...﴾[١] الآية [المائدة: ١١٨]

وماذا لو فقدت سورة من القرآن كنت لها حافظًا؟ أتحزن لفقدها كما لو فقدت درهمًا أو دينارًا؟

قال ﷺ:«عُرِضَت عليَّ أجور أُمَّتي حتي القذاة يخرجها الرجل من المسجد، وعُرِضَت عليَّ ذنوب أُمَّتي فلم أر ذنبًا أعظم من سورة من القرآن أو آية أُوتِيها الرجل ثم نَسيها»[٢] وهل أنت من المُعَظمين لمجالس الذِّكْر المُوقرِين لها؟

يُحكي من الوقائع التاريخية أن القارئ المصري (منصور بدَّار) توقف عن التلاوة في مأتم الملك فؤاد عام ١٩٣٦م، وحين سُئِل عن السبب، أشار إلىٰ وريث العرش الملك فاروق والذي كان يُدخن داخل السُرادِق، وأصَرَّ علىٰ عدم إتمام التلاوة حتي يُطفئها الأمير أو يخرج فأذعن الملك وكف عن التدخين[٣].

(١) أخرجه النسائي (١٠١٠) باختلاف يسير، وابن ماجه (١٣٥٠) واللفظ له، وأحمد (٢١٣٢٨) مطولًا، وحسنه الألباني.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦١)، والترمذي (٢٩١٦)، وضعفه الألباني «ضعيف الترغيب» (٨٧٢).

(٣) «عباقرة التلاوة في القرن العشرين» للكاتب شكري القاضي (ص ٣٦).

الفصل الثالث
أثر القرآن

العناصر:

١) أثره على غير المسلمين من المشركين.

٢) أثره على أهل الكتاب.

٣) أثره على المسلمين.

٤) أثره على الجن.

٥) أثره على النبات والحيوان.

٦) من المستفيد من هدي القرآن.

٧) من أسباب تأثير القرآن.

أولًا: أثره على المشركين:

نزل القرآن والعرب في جاهلية اجتماعية وسياسية وثقافية، فأحدث فيها تأثيرًا بليغًا، وصاغ من قبائلها المتناثرة أمَّةً متآلفة غنية بالمبادئ والقيم، وانطلقت كالريح المُرسَلَة تبشر برسالة جعلها الله رحمةً للعالمين.

قال تعالىٰ: ﴿فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ...﴾ الآية [آل عمران:١٠٣].

فللقرآن تأثير عجيب على القلوب قال الله تعالىٰ: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ ...﴾ الآية [الحشر:٢١].

فتأثر به كل شيء من إنسان وجان وحيوان ونبات بل وجماد.

قال جُبير بن مطعم: «سمعت رسول الله ﷺ يقرأ من المغرب بالطور فلمَّا بلغ هذه الآية: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ [الطور:٣٥] قال: كاد قلبي أن يطير» [رواه البخاري].

وسمع قيس بن عاصم سورة الرحمن منه ﷺ فقال: «إن له لطلاوة وإن عليه لحلاوة وأسفله لمغدق وأعلاه مثمر، وما يقول هذا بشر، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله»[(١)]

قال الله تعالىٰ: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ...﴾ الآية [الزمر: ٢٢]

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ...﴾ الآية [الأنفال:٢].

وهؤلاء الذين أسلموا ودخل الإيمان قلوبهم...

يقول بن كثير رحمه الله تعالىٰ عنهم: «فهم مخالفون لغيرهم من الكفار من وجوه:

(١) «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (ج١٧ / ص١٥١).

الأول: أن سماع هؤلاء هو تلاوة الآيات وسماع الكفار نغمات الأبيات من أصوات القينات.

الثاني: خروا سجدًا و بكيًا بأدبٍ وخشية.

الثالث: تقشعر جُلودهم ثم تلين قُلوبهم[(١)].

وهذا عتبة بن ربيعة فقال بعد سماعه صدرًا من سورة «فُصِّلَتْ»: «والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة»[(٢)]

وكان أبو جهل وأبو سفيان وغيرهما يتسللون لسماعه منه ﷺ في ظلمة الليل حتي أيقنوا تأثيره علىٰ قلوبهم غير أن الكبر حملهم علىٰ مداومة العناد، والصد عن سبيل الله.

فنزل قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ...﴾[(٣)] [فصلت: ٢٦].

وما قرأ أحدٌ القرآن يرجو الهداية إلا وتيسرت له الأسباب.

---

(١) «تفسير ابن كثير» لسورة الزمر الآية (٢٣).

(٢) «الروض الآنف» للسهيلي (٢/ ٤٦)، و«سيرة ابن هشام» (١/ ٢٩٣)، و«السيرة لابن إسحاق» (ص٩٢)، وحسنه الألباني في «صحيح السيرة النبوية» (ص١٥٩)، وفي «فقه السيرة» (ص ١٠٦).

(٣) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢٠٦) عن الزهري مرسلًا.

ثانيًا: أثره على المسلمين:

تأثر به عمر رضي الله عنه حال سماعه آيات من سورة طه.

وتأثر به أسيد بن الحضير حال سماعه من مصعب رضي الله عنهما أجمعين.

وتأثر به الطفيل بن عمرو الدوسي وغيرهم كثير.

ثالثًا: أثره على أهل الكتاب:

النجاشي وأساقفته يسمعون صدرًا من سورة مريم من جعفر رضي الله عنه فيبكون حتي تخضل لحاهم.

رابعًا: أثره على الجن:

بسماعه للرسول ﷺ يقرأ القرآن فولوا إلىٰ قومهم منذرين.

قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ... ﴾ الآية [الأحقاف: ٢٩].

وبالجملة:

فلقد تأثر بالقرآن العالم العلوي والسفلي.

وما سمع النبيَ ﷺ أحدٌ إلا وقد تأثر به ﷺ.

وسبب ذلك أنه ﷺ كان قرآنًا يمشي علىٰ الأرض، الصادق الأمين.

اتخذ القرآن منهجًا وواقعًا عمليًا، ولم يتخذه شعارًا.

لما نزل قول الله تعالىٰ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ أَعْبُدُ..﴾ الآية [النصر: ١-٣] تقول عائشة رضي الله عنها يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي» يتأول القرآن.

سادسًا: من المستفيد من هدي القرآن؟

فكثيرون يحفظونه أو يقرؤونه غير أنهم حُرِموا آثار هدايته، وتفصيل ذلك أن الله تعالىٰ قال:

﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ الآية [البقرة].

فتش في نفسك وراجع العناصر من العبادات والتي شملتها الآيات لتقف علىٰ الثغرة التي حرمتك هداية المتقين وفلاح الموحدين.

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ..﴾ الآية [الأعراف:٥٨].

سابعًا: من أسباب تأثير القرآن:

(١) التدرج:

قال الفيروزآبادي: فقبل أن يُنزل اللهُ علىٰ نبيه ﷺ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ..﴾ الآية [المُدَّثِّر:١] الآيات، كانت التهيئة والإعداد لتحمُّل هذه المسئولية الكبيرة فقال -سبحانه-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا...﴾[1] الآية [المُزَّمِّل].

فأكد -سبحانه- أن القرآن مُعين لمن يقوم به الليل.

(١) «بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز» (١/ ٩٨).

(٢) الترتيل:

وهذا الذي حرم الأشعريين النومَ؛ لأن القرآن متي دخلت محبته القلوب خرج منها كل شيء.

قال تعالىٰ: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ...﴾ الآية [العنكبوت: ٤٩].

وقال ﷺ: «**إني لأعرف أصوات رُفقة الأشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل، وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار...**»[(١)] الحديث ولا يتم التأثر بالقرآن إلا بعد تطبيقه المتحقق بمعرفة تفسيره.

قال ابن مسعود رضي الله عنه لمَّا سَمِعه ﷺ: «فإذا عيناه تَذرِفَان»[(٢)] الحديث، قال الإمام النووي رحمه الله: «البكاء عند قراءة صفة العارفين وشعار عباد الله الصالحين»[(٣)].

(١) أخرجه البخاري (٤٢٣٢).

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٥٠) واللفظ له، ومسلم (٨٠٠).

(٣) «البيان» (ص٤٧).

الفصل الرابع

موانع الانتفاع بالقرآن

عناصره:

١) الأسباب الحقيقية لعدم الانتفاع.

٢) من علامات ومظاهر قسوة القلب وكيفية علاجها.

٣) أسباب قسوة القلب.

٤) خطوات معينة لإذابة قسوة القلب.

٥) من علامات رقة القلب.

أولًا: الأسباب الحقيقية لعدم الانتفاع.

فما الذي أفقدني الشعور بحلاوة القرآن وطلاوته رغم صلاتي وصومي وحجي وحفظي للقرآن؟

وما الذي حرمني البكاء عند سماعي له؟

قال تعالىٰ: ﴿.. إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ الآية [الشعراء:٨٩]

تصحيح القلب أولًا: أول ما يعتمد عليه السالكون ينظرون في أمراضه لعلاجه.

ولقد علم إبليس مكانة القلب فأجلب عليه بِخَيلِه ورَجْلِه، وأقبَل عليه بالوساوس والشهوات والشبهات.

قال الشاعر: إذا قَسَا القَلْبُ لم تَنفعه مَوعِظةٌ كالأرضِ إنْ سَبِخَت لم ينفع المطرُ.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: إن القلب للأعضاء كالمَلِكُ المُتصرِّف في الجنود التي تَصْدُرُ كلها عن أمره فتكتسب منه الاستقامة أو الزيع، وتتبعه فيما يعقده من العزم أ يحله[١].

ومعلوم أن القلب موضع نظر الرب سبحانه وتعالي لذا قال ﷺ: «**إن الله تعالىٰ لا ينظر إلىٰ صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلىٰ قلوبكم وأعمالكم**» رواه مسلم[٢].

ولأن معرفة أسباب الداء هي الخطوة الأولي لكتابة وَصْفَه الدواء؛ كان القرآن لنا كنز عظيم، وبحر زخَّار، ومَعينٌ لا ينضب، ومنجم لا ينفد، وخلود بلا فناء، باق، فهو كالشمس يسع الجميع، غير أن الشمس لا تؤثر إلا فيمن تعرَّض لها. والقرآن لا ينتفع به إلا من أحسن التعرُّض له، غير أن نور القرآن لا يأفل، وشمسه لا تغيب أبدًا. والآن إلىٰ السؤال المرتقب،

ما موانع الانتفاع؟

١- الصورة الموروثة عن القرآن:

قال ﷺ: «ما من مولود إلا يُولَد علىٰ الفِطرَة، فأبواه يُهَودانه

(١) «إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان» (١/ ٥).

(٢) صحيح مسلم (٢٥٦٤).

أو يُنَصرانه أو يُمَجسانه...»[١] الحديث إن الصورة التي طُبِعَت في أذهان سيما في مراحل الطفولة أن القرآن يُستَدعي في حالات الاحتضار والنزع والوفاة وزيارة القبور، وحال الأمراض المستعصية، فأصبح مقدسًا شكلًا فقط، تُفتح به الحفلات والمناسبات، وتُكتَب آياته في تابلوهات أنيقة تزين الجدران، أو تُكتَب علىٰ المجوهرات لزينة النساء.

٢- طول الإلف:

أصبح يُتلىٰ بنغمةٍ وتراتيل معينة ويكتفي بجو الروحانية والشعور بالإرتياح لسماع أصوات المقرئين، لكنه لا يُنْشِئُ إيمانًا.

قال رجب الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذه الألحان تهيج الطباع وتلهي عن تدبر ما يحصل له من الاستماع»[٢].

٣- نسيان الهدف الذي من أجله نزل القرآن:

جعل الله -سبحانه- القرآن رسالة موجزة في كلماتها حوت معاني عظيمة، ومن نعمه جل جلاله أن يسَّرها الله للذِّكر.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «أهل القرآن هم العالمون به العاملون بما فيه وإن لم يحفظوه عن ظهر قلب، وأما من حفظه ولم يفهمه ولم يعمل بما فيه؛ فليس من أهله وإن أقام حروفه إقامة السهم.[٣]

(١) أخرجه البخاري (٤٧٧٥) واللفظ له، ومسلم (٢٦٥٨).

(٢) «مجموع رسائل ابن رجب» (٢/ ٤٦٣).

(٣) «زاد المعاد» (١/ ٣٢٧).

قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:«أُنزِل القرآن ليُعمَل به فاتخذوا دراسته عملًا، وإن أحدكم ليقرأ القرآن من فاتحته إلىٰ خاتمته ما يُسقِط منه حرفًا وقد أسقط العمل به.[١]

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:«ولا يخفي علىٰ أولي الألباب أن المقصود بنزوله اتِّبَاعَه والعمل بما فيه، إذ العاملون به هم الذين جُعِلوا من أهله، وأن المطلوب من تلاوته تدبره وفهمه، لذا أمر الله -سبحانه- بترتيله والترسل فيه؛ ليتجلَّي أنوار البيان من مشارق تبصرته، ويتحلَّي بآثار الإيمان من حقائق تَذكِرته»[٢].

٤- كيد الشيطان:

أقسَمَ بعزة الله أن يغوي بني آدم حتي يسوقهم إلىٰ النار، ومن شأن القرآن أن يُفسِد عليه مخططه، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ..﴾ الآية [الحجر:٤٢]

والمقبل علىٰ كلام الله تعالىٰ مستشعرًا أنه خطابه سبحانه الموجَّه إلىٰ المُكَلَّفين، وأنه يحمل في طياته مفاتيح سعادة العبد في دنياه وأخراه.

لا شك أن هذه الشخصية لا تزال أمام براثن الشيطان ومكائده.

٥- الجهل بقيمة القرآن: كيف أعالج قسوة قلبي؟

وسببه مرض القلب والذي علىٰ إثره يمرَض البدن وشفاؤه

(١) «الإحياء» (١/ ٢٤٣).

(٢) «قاعدة في فضائل القرآن» (ص ٥٤).

بالتوبة، كما أن القلب يصدأ كما تصدأ المرآة، وجلاؤه الذكر، ويُعرَّي كما يُعرَّي الجسم وزينته التقوي، ويجوع كما يجوع البدن وطعامه وشرابه المعرفة والمحبة والتوكل والإنابة.

ولا يَسلَم مما سبق إلا من سَلَّمه الله وهيأ له أسباب فِهْم كلامه وتدبره.

ثانيًا: من علامات ومظاهر قسوة القلب وكيفية علاجها.

قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ..﴾ الآية [الزخرف:٣٦] أي ملازم له.

قال الشيخ بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:«حسن ما يُوصَي به لعلاج القلب وقسوته؛ العناية بالقرآن وتدبره، والإكثار من تلاوته، وذكر الله ﷻ، وقول «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو علىٰ كل شيء قدير»[(١)].

وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الإعراض عن الله ﷻ والبعد عن تلاوة القرآن واشتغال الإنسان بالدنيا وأن تكون الدنيا أكبر همه ولا يهتم بأمور دينه؛ لأن طاعة الله تعالىٰ توجب لين القلب ورقته ورجوعه إلىٰ الله تبارك وتعالىٰ، ودواء ذلك بالإقبال علىٰ الله والإنابة إليه وكثرة

(١) «مجموع فتاوىٰ ومقالات الشيخ ابن باز» (٢٤/ ٣٨٨).

ذكره وكثرة قراءة القرآن وكثرة الطاعات بحسب المستطاع»[١].

ثالثًا: قسوة القلب.

أما القلب القاسي فله علاماته ومظاهره ومثال ذلك...

(١) جمود العين وقلة دمعها من خشية الله سبحانه:

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «متي أقحطت العين من البكاء، ومن خشية الله تعالىٰ، فاعلم أن قحطها من قسوة القلب، وأبعد القلوب من الله القلب القاسي»[٢].

(٢) عدم الاعتبار بالموت والضحك عند القبور:

قال الغزَّالي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الآن لا ننظر إلىٰ جماعة يحضرون جنازة إلا وأكثرهم يضحكون ويلهون، ولا يتكلمون إلا في ميراثه وما خلفه لورثته»

يقول: «حتي نسينا الله تعالىٰ واليوم الآخر، والأهوال التي بين أيدينا، فصرنا نلهو ونغفل ونشتغل بما لا يعنينا» مختصر بتصرف[٣].

(٣) عدم قبول الحق وإن كثرت دلائله:

قال ﷺ: «أهل النار كل جواظٍ عُتلٍ مُستكبر»[٤]

(١) «فتاوىٰ نور علىٰ الدرب» لابن عثيمين (١٢/ ١٧١).
(٢) «بدائع الفوائد» (٣/ ٧٤٣).
(٣) «إحياء علوم الدين» (٤/ ٤٨٤).
(٤) البخاري (٦٦٥٧/ ٦٩٤٢)

قال الإمام المناوي رحمه الله تعالىٰ: «إذ القاسي لا يقبل الحق وإن كثرت دلائله»[١]

(٤) التكاسل عن طاعة الله وأعمال الخير:

قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ الآية [التوبة: ٥٤]

(٥) عدم التأثر بالقرآن الكريم والمواعظ والرقائق:

قال تعالىٰ: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ الآية [ق: ٤٥]

(٦) جَعَل الدنيا أكبر همه ومبلغ علمه فابتلي بالحسد والأنانية والبُخل والشُّح.

(٧) لا يغضب لانتهاك الحُرُمات، ولا يُنكِر مُنكرًا، ولا يُبالي باقتراف المعاصي والمُحرَّمات.

(٨) يَجد بصدره وَحشَة وضيق وقلق وتوتر.

قال الإمام الجيلاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القلب يصدأ فإن تداركه صاحبه بما وَصَف النبيُ ﷺ وإلا انتقل إلىٰ السواد، يَسوَدُّ لبعده عن النور، يَسوَدُّ لحبه للدنيا والتحويز عليها من غير ورع، لأنه القلب يصدأ فإن تداركه صاحبه وزال حياؤه من ربه عَزَّوَجَلَّ»[٢]

---

(١) «فيض القدير» (١٢٢ / ١).

(٢) «الزهد» لابن أبي حاتم (ص ٨).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «صدأ القلب في أمرين بالغفلة والذنب، وجلاؤه بشيئين الاستغفار والذكر»[١]

وقال الفضيل: «خمس من علامات الشقاء، القسوة في القلب، وجمود العين، وقلة الحياء، والرغبة في الدنيا، وطول الأمل»

ولعلنا الآن نستطيع الانتقال إلىٰ عنصر جديد وقد بدت لنا واضحة معالمه، ألا وهي أسباب قسوة القلب.

أسباب قسوة القلب:

١- الغفلة.

٢- طول الأمل.

٣- عدم مراقبة الله سبحانه.

٤- هجر القرآن.

٥- الكسب الحرام.

٦- الكبر وازدراء الخَلْق.

٧- عدم المحافظة علىٰ الفرائض.

٨- الظلم.

(١) «الوابل الصيب من الكلم الطيب» (٤٠).

٩- الركون إلىٰ الدنيا والاغترار بها ونسيان القبر والموت والدار الآخرة.

١٠- النظر المحرم إلىٰ النساء.

١١- عدم محاسبة النفس.

١٢- سوء الخلق.

١٣- كثرة الكلام بغير ذكر الله.

١٤- كثرة الأكل والنوم.

١٥- الغضب غير المباح.

١٦- الإعراض عن العلم الشرعي.

١٧- عدم المواظبة علىٰ الأذكار والأدعية.

والآن ننتقل إلىٰ عنصر جديد وهو كيف أعالج قسوة قلبي **وماهي الخطوات اللازمة لذلك؟**

رابعًا: خطوات معينة لإذابة قسوة القلب.

١) تعلُّم العِلم الشرعي.

٢) المواظبة علىٰ مصاحبة القرآن.

٣) قراءة سيرة الرسول ﷺ وصحابته الكرام.

٤) صدقة السر.

٥) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٦) بر الوالدين وصلة الأرحام.

٧) قيام الليل.

٨) التواضع وحسن الخُلُق.

٩) التبكير إلىٰ الصلاة.

١٠) إفشاء السلام.

١١) محاسبة النفس وصفائها.

١٢) أداء النوافل.

١٣) الجليس الصالح.

١٤) التزود بالعمل الصالح.

١٥) حفظ الجوارح عن الحرام.

١٦) صيام التطوع.

١٧) إصلاح ذات البين.

١٨) الحذر من التهاون في الذنوب.

١٩) مراقبة الله سرًا وعلنًا.

٢٠) حب العفو.

٢١) الكسب الحلال.

٢٢) حب الخير للغير.

٢٣) زيارة ورؤية الصالحين وصحبتهم والقرب منهم.

قال تعالىٰ: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم ...﴾ الآية [الكهف:٢٨]

قال جعفر بن سليمان: «كنت إذا وجدت من قلبي قسوة غَدَوت فنظرت إلىٰ وجه محمد بن واسع»[١]

٢٤) الاستماع للموعظة وتقبُّلها.

جاء أعرابي للإمام أحمد وهو مقيد بحديد الجند في أزمة خلق القرآن، وقد نصحه قائلًا: «يا أحمد إنْ يقتلك الحق مِتَّ شهيدًا، وإن عِشتَ عِشتَ حميدًا» يقول أحمد: «فقوي قلبي» بتصرف تاريخ الاسلام ١٨/ ٩٨ البداية والنهاية ١٠/ ٣٦٦

٢٥) تعظيم المتكلم بالقرآن سبحانه وتعالي وهذا مدعي لخشوع القلب.

وكان عكرمة بن أبي جهل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذا نشر المصحف غُشي عليه ويقول: «هو كلام ربي هو كلام ربي»[٢]

٢٦) الجهر بالقرآن.

فعند مسند الترمذي أن النبي ﷺ قال: «**الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة، والمُسِّر بالقرآن كالمُسِّر بالصدقة**»[٣] وقال ﷺ: «**ليس منا من لم يتغن بالقرآن**» رواه البخاري وزاد غيره: «**يجهر به**»[٤]

(١) «حلية الأولياء» (٢/ ٣٤٧).

(٢) «أخرجه الدارمي» (٣٢٢٨)، والبيهقي في «الشعب» (٢٢٢٩).

(٣) أخرجه أبو داود (١٣٣٣)، والترمذي(٢٩١٩)، والنسائي(١٦٦٣) وصححه الألباني في «أصل صفة الصلاة» (٢/ ٤٢٧).

(٤) رواه البخاري (٧٥٢٧).

١) كن علىٰ موعد دامٍ وحافظ علىٰ وِردَك مهما كانت الظروف.

٢) التهيئة الذهنية والقلبية والأخذ بأسبابها زمانًا ومكانًا.

٣) اقرأ بتأن وتركيز وتجاوب.

٤) ردد الآية التي هزت مشاعر قلبك.

٥) محبة أهل القرآن والصالحين.

ذكر ابن عمرُ ابن مسعودَ فقال: ذاكَ رَجُلٌ لا أزالُ أحبُّه سمعت النبي ﷺ يقول: «خذوا القرآن من أربعة عبد الله بن مسعود وسالم ومعاذ وأبي بن كعب»[١]

وقيل تعليقًا على هذا الحديث أن من فوائده:

أولًا: قراءة القرآن بالتلقي من أفواه المقرئين.

ثانيًا: مشروعية تحرِّي الضابطين للأخذ عنهم.

ثالثًا: محبة أهل القرآن لأن صدورهم أوعية لكتاب الله تعالىٰ.

٦) عُدِ المرضي وأهل الابتلاء.

٧) المحافظة علىٰ الوضوء.

٨) استحضر قلبك واترك حديث النفس.

٩) لا تُصِرُّ علىٰ الذنوب فإنها الحجاب المانع لفهم القرآن وتدبره.

١٠) حاول حضور حالات احتضار.

---

(١) رواه البخاري (٣٨٠٨) واللفظ له، ومسلم (٢٤٦٤).

١١) احرص علىٰ حضور مجالس الوعظ وأكثِر من ذكر هادم اللذات.

خامسًا: من علامات رقة القلب.

(١) أن صاحبه لا يفتر عن ذكر الله.

(٢) منهج حياته (أرحنا بها يا بلال)[١].

(٣) إذا فاتته طاعة وجد ألمًا.

(٤) يتلذذ بالمناجاة خاليًا بربه سبحانه وتعالي.

(٥) قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اطلب قلبك في مواطن ثلاثة:

عند سماع القرآن، وعند مجالس الذكر، وفي أوقات الخُلوة

فإن لم تجده فسل الله قلبًا، فإنه لا قلب لك[٢] ما أدمن عبدٌ تلاوة القرآن إلا رق قلبه من خشية الله.

(١) سنن أبىٰ داود (٤٩٨٥).

(٢) «الفوائد» (١/ ١٤٩)

الفصل الخامس

حكم قراءة القرآن بالألحان

العناصر:

١- أقوال أهل العلم.

٢- المقامات والأوزان.

أولًا: أقوال أهل العلم.

الأصل أن القراءة سُنَّة يأخذها الآخر عن الأول.

قال بن رجب الحنبلي:

قراءة القرآن بالألحان أصوات الغناء وأوزانه وإيقاعاته علىٰ طريق أصحاب الموسيقي.

فرخَّص فيه بعض المتقدمين إذا قصد الاستعانة علىٰ إيصال معاني القرآن إلىٰ القلوب للتحزين والتشويق والتخويف والترقيق.

وأنكر ذلك أكثر العلماء، ومنهم من حكاه إجماعًا ولم يثبت فيه نزاعًا، منهم أبو عبيد وغيره من الأئمة.

وإنما وردت السُّنَّة بتحسين الصوت بالقرآن لا بقراءة الألحان، وبينهما بون بعيد.[١]

قال ابن القيم في زاد المعاد:

«وفَصْل النزاع أن يُقال التطريب والتغنِّي علىٰ وجهين:

الوجه الأول:

ما اقتضته الطبيعة وسمحت به من غير تكلُّف ولا تمرين ولا تعلُّم؛ بل إذا خُلِّي وطبعه واسترسلت طبيعته جاءت بذلك التطريب والتلحين فذلك جائز.

قال أبو موسي الأشعري للنبي ﷺ: «لو علمت أنك تسمع لحبَّرته لك تحبيرًا»[٢] فهذا الذي كان السلف يفعلونه ويستمعونه وهو التغنِّي الممدوح المحمود وهو الذي يتأثر به التالي والسامع وعلي هذا الوجه تُحمَل أدلة أرباب هذا القول كلها.[٣]

الوجه الثاني:

ما كان من ذلك صناعةً من الصنائع، وليس في الطبع السماحة به، بل لا يحصُل إلا بتكلُّف وتصنُّع وتمرُّن، فهذه هي التي كرهها السلف

(١) «نزهة الأسماع» (ص ٧١).
(٢) «المطالب العالية» (٤/ ٧٠).
(٣) «زاد المعاد» (١/ ٤٦٣).

وعابوها وذمُّوها، فمنعوا القراءة بها وأنكروا علىٰ من قرأ بها[١]. وكل من له علم بأحوال السلف يعلم قطعًا أنهم بُرآء من القراءة بألحان الموسيقي المتكلِّفة التي هي إيقاعات وحركات موزونة معدودة محدودة وأنهم أتقي لله مِن أن يقرؤوا بها.

وقال الشيخ بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: لايجوز للمؤمن أن يقرأ القرآن بألحان الغناء وطريقة المغنيين بل كما قرأه سلفُنا الصالح فيقرأه مُرَتَّلًا مُتحزِّنًا مُتَخشِّعًا حتي يؤثر في القلوب[٢].

وقال بن جبرين رَحِمَهُ اللَّهُ: «وليس للإنسان أن يتكلَّف ما لا يقدر عليه، وإنما عليه أن يحرص علىٰ تحسُّن صوته بقدر استطاعته، وإذا لم يتمكن من تغيير صوته فإنه معذور، فيقرأ قدر ما أعطاه الله».

وقال الشيخ بكر أبو زيد: «التلحين في القراءة تلحيني الغناء والشعر وهو مُسقِط للعدالة، ومن أسباب رد الشهادة قضاءً.

وكان أول حدوث هذه البِدعَة في القرن الرابع علىٰ أيدي المَوَالي»[٣]

وقال علماؤنا المعاصرين:

«وعلم المقامات علم مستحدث لا يَمُت إلىٰ علم القراءات بِصِلةٍ بل نشأ في حاضنات المغنيين والمغنيات مضبوطًا بطابع موسيقي يمتاز به صوت معين ومرتبط بآلات اللهو والطرب.

---

(١) «زاد المعاد» (١/ ٤٨٢).

(٢) مجموع فتاوىٰ ومقالات الشيخ ابن باز (٩/ ٢٩٠).

(٣) «بدع القراء» (ص ١١).

كالمقامات الأندلسية والبغدادية وغيرها فلا يجوز تعلُّمها أو تعليمها».

وتزيين القرآن يكون بالتزام أحكام التلاوة والتجويد وتحسين الصوت به يكون بضبط مخارج الحروف أداءً ولا يجوز أن يطلق علىٰ ذلك مسمي فقام لبدعيته وسوء نشأته.

أما تقليد صوت مُقرئ مشهور نطقًا وأداءً فلا مانع منه.

ويقول أهل العلم أن تحسين الصوت بالقرآن معناه أداؤه علىٰ الوجه الصحيح والسلامة من اللحن.

وأما قوله ﷺ: «**مَا أَذِنَ الله لشيء كأَذَنه لنبي يتغنَّي بالقرآن يجهر به**»[(١)] فمعناه يرفع صوته به ويحسِّنه بفطرته لا بصنعته وطربه.

قال ابن تيمية: «الألحان التي كره العلماء قراءة القرآن بها هي التي تقتضي قصر الحرف الممدود ومد الحرف المقصور وتحريك الساكن وتسكين المتحرك لموافقته نغمات الأغاني المطرَّبة، فإن حصل مع ذلك تغيير نظام القرآن جَعْل الحركات حروفًا فهو حرام، فلا يسوغ أن يقرأ القرآن بألحان الغناء ولا أن يقرن به من الألحان ما يقرن بالغناء ومن الآلات وغيره»[(٢)].

وقال السيوطي:«قراءة القرآن بالألحان والأصوات الحسنة

(١) رواه مسلم (٧٩٣).

(٢) «الاستقامة» (١/ ٢٤٦).

والترجيع إنْ لم تخرجه عن هيئته المعتبرة فهو سُنَّة وإنْ أخرجته فحرام فاحش»[١].

وقال ابن قدامة: «واتفق العلماء علىٰ أنه يُستحَب قراءة القرآن بالتحزين والترتيل والتحسين»[٢] ولعل ابن قدامة اعتمد في هذا علىٰ حديثين أحدهما أضعف من الآخر.

الأول حديث بريدة (ضعيف جدًا): «اقرءوا القرآن بالحزن فإنه نزل بالحزن»[٣].

الثاني حديث ابن عباس : «إن أحسن الناس قراءة من إذا قرأ يتحزن فيه »[٤].

وقال الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن حُرمته ألا يقصر في قراءته كفعل هؤلاء الهمزيين المبتدعين والمتنطعين في إبراز الكلام من تلك الأفواه المنتنة تكلُّفًا فإن ذلك مُحدَث ألقاه إليهم الشيطان فقبلوه عنه. ومن حُرمته ألا يُقرأه بألحان الغناء كلحون أهل الفسق»[٥] إذًا هناك فارق بين تحسين القراءة والقراءة بالألحان، فتحسين الصوت تزيينه بالترتيل والجهر والتفخيم والترقيق، أما قراءة الألحان فبطريق أهل علم الموسيقي في الألحان السبعة.

---

(١) «الحاوي للفتاوي» (ص٢٤١).

(٢) «المغني» (١٠/ ٣١٢).

(٣) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (ح-٢٩٠٢ -٣/ ١٩٣).

(٤) «ضعيف الجامع» (١٣٧٤) .

(٥) «تفسير القرطبي» (١/ ٢٩) .

وكان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول لأبي موسي الأشعري: «يا أبا موسي ذكِّرنا ربَّنا» فيقرأ أبو موسي وهم يستمعون لقراءته»[١].

وأما قوله ﷺ «**ليس منَّا من لم يتغنَّ بالقرآن**»[٢] فسَّره الشافعي وأحمد وغيرهما، أنه تحسين الصوت به.

وفسَّره ابن عيينة ووكيع وأبو عبيد، الاستغناء بالقرآن.

قال د/ إبراهيم الدوسري -الأستاذ بقسم القرآن وعلومه جامعة الإمام- يقول: «وما ذكره ابن حجر وغيره من الأئمة المعتبرين من الجواز في ذلك، إنما مرادهم التلحين البسيط الذي لا يؤثر علىٰ الأداء الصحيح، وهذا هو محل الخلاف»

وقال ابن العربي: «واستحسن كثير من فقهاء الأمصار القراءة بالألحان والترجيع».

وكرهه مالك وجوزه ابن العربي، ولعل من أقوي أدلة القائلين بعدم الجواز بل التحريم حديث حذيفة بن اليمان مرفوعًا: «... وسيجيء من بعدي قومٌ يُرجِّعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح، لا يجاوز حناجرهم مفتونة قلوبهم وقلوب من يعصبهم شأنهم»[٣].

(١) أخرجه ابن حبان (٧١٩٦)، إسناده صحيح علىٰ شرط مسلم.

(٢) سبق تخريجه .

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٧/ ١٨٣).

ثانيًا: المقامات والأوزان التي جمعها أهل الاختصاص:

(١) مقام البيَّات: يمتاز بالخشوع والرهبانية والتفكُّر.

(٢) مقام الرِّست: كلمة فارسية تعني الاستقامة ويكون عند الآيات ذات الطابع القصصي أو التشريعي.

(٣) النهاوند (مدينة إيرانية): يمتاز بالعاطفة والخشوع والتفكُّر.

(٤) السيكا: يمتاز بالبطء والترسل.

(٥) الصبا: يمتاز بالروحانية الجياشة والعاطفة والحنان.

(٦) الحجاز: من أكثر المقامات روحانية وخشوعًا.

فكل المقامات دخيلة وأصلها أعجمي سوي هذا:

(٧) العجم: يؤدي إلىٰ الاشتياق والنشاط عند المستمع، ويُستخدَم في آيات تدل علىٰ عظمة الله وصفاته وأسمائه الحسني، والجنة ومعجزات الأنبياء والأدعية والجهاد.

يقول الشيخ صالح الفوزان: «ينبغي للإمام أن تكون قراءته سمحة لا تَكلُّف فيها، ولا تصنُّع، ولا تقليد.[١]

ويقول الشيخ بكر بن عبد الله أبي زيد:

«وأنصح كل مسلم قارئ لكتاب الله تعالىٰ وبخاصة أئمة

(١) «رسالة إلىٰ أئمة المساجد» (ص٢).

المساجد أن يكفوا عن المحاكاة والتقليد في كلام رب العالمين»[١]

وقد قال الله تعالىٰ عن نبيه ﷺ: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ قُلْ..﴾ الآية [ص:٨٦].

(١) «بدع القراء» (ص٥٥).

الفصل السادس

متى أكون له صاحبًا

قال ﷺ: «**إن القرآن يلقي صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب. يقول: هل تعرفني؟**

فيقول له: ما أعرفك. فيقول: أنا صاحبك القرآن الذي أظمأتك في الهواجر وأسهرت ليلك.

وإنَّ كل تاجر من وراء تجارته، وإنك اليوم وراء كل تجارة..». [١]

وفي غزوة حنين أمر النبي ﷺ عمه العباس فناداهم:

«**يا أصحاب الشجرة**» يعني يا أهل بيعة الرضوان. وفي رواية ناداهم «**يا أصحاب سورة البقرة**» ينشطهم بذلك فجعلوا يقبلون من كل وجه[٢].

لقد شرفهم الله سبحانه وتعالي بهذا النسب وياله من شرفِ صحبةٍ، معها: ينتقل الصاحب مع صاحبه ويطوف في ظلال المشاعر فيبحر مع نوح، ويسمو بروحه في ملكوت السماء متدبرًا مع إبراهيم، يصبر مع أيوب، ويُسَبِّحُ مع داود، ويَصمُد مع الغلام في وجه صاحب الأخدود، يتزلزل فؤاده مع المؤمنين في مواجهة الأحزاب يوم الزلزال الشديد، ثم

(١) حسَّنه ابن حجر، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح، وأورده الألباني في «السلسلة الصحيحة».
(٢) صححه أحمد شاكر في مقدمة «عمدة التفاسير».

ينشرح صدره وهو يطالع نبأ النصر المجيد، والرعب الذي تصدعت به نفوس المشركين، ينتقل من مشهد لآخر، ومن قصة لأخري، ويدور مع المعاني والأمثال. حيث دارت ويكأنه:

يسمع قعقعات المعركة، وصليل السيوف مختلطًا بصهيل الخيل، وهو يصحب سورة الأنفال،

ثم يرتجف قلبه غضبًا لربه وهو يطالع جرائم المنافقين بسورة التوبة.

يوجَل قلبه تعظيمًا وإجلالًا لربه سبحانه إذا رتل سورة الأنعام، ويذوب فؤاده شوقًا لمولاه المنان وهو يتلو سورة الرحمن مجيبًا لسؤالها المتكرر وصائحًا من أعماق قلبه (لا نكذب بآلائك ربنا ولك الحمد).

يزداد حمده وشكره وامتنانه وهو يطالع نعم الله وآلائه بسورة النحل.

ثم ترتعد نفسه خوفًا وطمعًا وهو يتلو سورة الرعد.

ينبهر بعدل الشريعة وإحكام إنصافها وهو يقرأ سورة النساء.

ثم يعاهد الله علىٰ الوفاء بعقود المائدة ومواثيقها.

وتعلو همته، ويزداد يقينه وهو يتأمل تلك المفاصلة الخالدة بين أئمة الحق وسدنة الباطل بسورة إبراهيم.

ويعجب لذلك اللطف الجميل بسورة يوسف.

ويزداد انبهارًا بفتوحات الله تفرج الكروب عن موسي بسورة القصص.

ثم يلين قلبه حين يغمره ضياء سورة النور.

ويزرف الدمعات الخاشعات وهو يتأمل شكوي حبيبه ﷺ بالفرقان.

﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ... ﴾ الآية [الفرقان: ٣٠]

وأقف لأتساءل...

أين أنا وأنت من هذا الشعور المصاحب للقرآن حال قراءته وتدبره؟

فمتي وُجِد هذا الشعور والوجدان وُجِدَت صحبة القرآن حتي نفوز يوم نلقي الله بمصاحبته لنا.

ولا أقصد من هذا العرض لنموذج مثالي قد أحسن مصاحبة القرآن أن أغرس فيك الإحباط كلا.

لكنها وقفة مع النفس ولفت الانتباه أن هناك آفاقًا أخري، بها نستطيع أن نتعامل مع القرآن هي: أرقي من جلب الحسنات وجمع المثوبات وقت أن نتخذه روحًا وأكرِم بها صُحبة.

قال تعالىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ... ﴾ الآية [الشوري: ٥٢]

ويكأن القلوب من دون القرآن ميتة، والنفوس يابسة.

أما من رزقه الله حسن صحبته فهو ممن قال الله فيه:

﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا ...﴾ الآية [الأنعام:١٢٢]

وبعد... فيا حامل القرآن

إننا بحق نحتاج جميعًا أيَّما حاجة، لأن ننظر إلىٰ القرآن أنه كتاب تغيير أنزله الله سبحانه ليخرج به الناس من الظلمات إلىٰ النور، فلو نزل علىٰ جبل لخشع وتصدع من خشية الله سبحانه.

فما بالنا بقدرته علىٰ تغيير حال قلوبنا وأنفسنا إلىٰ الحق إنْ صحبناه حق الصحبة؟

فكم من قلوب كانت ميتة سوداء، وقد أحياها الله بالقرآن.

وكم من بعيد عن الله مسرف علىٰ نفسه متبع لهواه وقد أحيا الله سبحانه قلبَه.

قال تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً ...﴾ الآية [فصلت:٣٩].

وبعد... فأحسن علاقتك بكلام ربك سبحانه.

تلك العلاقة التي يصعد المسلم درجاتها عبر سلم المدارسة والتدبر ليستحق ذلك اللقب العظيم «**صاحب القرآن**».

وقد قيل لبعض السلف إذا قرأت القرآن تُحدِّث نفسك بشيء؟

فقال: أو شيء أحَب إليَّ من القرآن حتي أُحَدِّثَ به نفسي.

قلت: أسامه.

تدرون لماذا؟ لأنه اتخذه له صاحبًا.

الفصل السابع
واجبات وحقوق صحبة القرآن

وهذا يستلزم لا شك منا أمور هي:

١- الإخلاص عند تلاوته.

٢- الوفاء والإحسان بألا ننساه أو نهجره.

قال ﷺ: «من تعلم القرآن ثم نسيه لقي الله أجذم»[١] الأجذم مقطوع اليد، والمعني كما قال ابن الأعرابي: «يلقي الله لا حجة له».

وقال الضحاك بن مزاحم: «ما من أحد تعلم القرآن ثم نسيه إلا بذنب يحدثه لأن الله تعالىٰ يقول:

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ...﴾ الآية [الشورىٰ:٣٠].

قال: وإن نسيان القرآن من أعظم المصائب[٢]. فالعمل بما فيه والوقوف علىٰ حلاله وحرامه وأمره ونهيه.

١- التأدب بآداب تلاوته بما يليق بقدسيته.

٢- إحسان تلاوته وتجويده.

---

(١) رواه الدارمي، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٥١٣٦).

(٢) «فضائل القرآن» للقاسم بن سلام (٢٨٤).

يروي عن سبط الخياط رحمه الله تعالى أنه كان قد أُعطي من ذلك حظًا عظيمًا وأنه أسلم جماعةٌ من اليهود والنصاري من سماع قراءاته.

٣- محبة أهل القرآن وإكرامهم.

الفصل الثامن

نموذج الشخصية القرآنية

١- عمر رضي الله عنه.

قال بن عمر: «تعلم عمر البقرة في اثنتي عشرة سنة فلما ختمها نحر جزورًا»[١]

لعل هذا في نهاية خلافة أبي بكر وبداية خلافة عمر.

وقال ابن عمر: «كان الفاضل من أصحاب رسول الله ﷺ في صدر هذه الأمة لا يحفظ من القرآن إلا السورة أو نحوها ورُزقوا العمل بالقرآن، وإن آخر هذه الأمة يقرؤن القرآن، منهم الصبي والأعمي أو الأعجمي ولا يُرزَقون العمل به»[٢] قال علقمة بن وقاص: « كان عمر يقرأ في العشاء الآخرة (يوسف) وأنا في مؤخر الصف حتي إذا ذكر يوسف عليه السلام سمعت نشيجه»[٣]

(١) «تنوير الحوالك» (١/ ١٦٢)، و«شرح الزرقاني» (٢/ ٢٧).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (١/ ٣٠).

(٣) أخرجه عبد الرزاق، وابن أبي شيبة في مصنفيهما، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ»، وفي «شعب الإيمان».

وقال الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان عمر يمر بالآية من ورده بالليل فيبكي حتي يسقط ويبقي في البيت حتي يُعاد للمرض»[١] وعن هارون بن عنترة عن أبيه:

لما نزلت ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ ...﴾ الآية [المائدة: ٣]

وذلك يوم الحج الأكبر بكي عمر. فقال له النبي ﷺ: «**ما يُبكيك؟**»، قال: أبكاني أنَّا كنَّا في زيادة من ديننا فأما إذ كَمُل، فإنه لم يكمل شيء قط إلا نقص.

فقال: «**صدقت**»[٢]. ويقصد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نقصان أهل الدين فإنهم إذا تطاول عليهم الأمد قست قلوبهم وقلَّ تمسُّك بعضهم بما أُمِر به.

ومثل قول عمر حديث «**بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ فطوبي للغرباء**»[٣].

قال عمر في إحدىٰ خطبه: «تعلَّموا القرآن تُعرفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله»[٤].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٩٥).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٣٧١٨).

(٣) رواه مسلم (١٤٥).

(٤) «المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية» لابن حجر «كِتَابُ الرَّقَائِقِ» (٣٢١٩).

وقال: «وعليكم بهذا القرآن فإن فيه النور والشفاء وفي غيره الشقاء».

وقال: «إن هذا القرآن كلام الله ﷻ فضعوه علىٰ مواضعه، ولا تتبعوا فيه أهواءكم»[١].

سالم مولي أبي حُذيفة كان عبدًا رقيقًا أسلم، فرفع الله قدره بالقرآن فصار إمامًا للمهاجرين من مكة إلىٰ المدينة مدة صلاتهم بمسجد قباء: «وذُكِرَ عبدُ اللهِ بنُ مَسْعُودٍ عِنْدَ عبدِ اللهِ بنِ عَمْرٍو، فَقالَ: ذاكَ رَجُلٌ لا أزالُ أُحِبُّهُ، سَمِعْتُ النبيَّ ﷺ يقولُ: «**خُذُوا القُرْآنَ مِن أرْبَعَةٍ مِن عبدِ اللَّهِ بنِ مَسْعُودٍ -فَبَدَأَ ربه، وسالِمٍ، مَوْلىٰ أبِي حُذَيْفَةَ، ومُعاذِ بنِ جَبَلٍ، وأُبَيِّ بنِ كَعْبٍ**»[٢]

بل قال ﷺ فيه: «الحمد لله الذي جعل في أمتي مثلك»[٣]

وأثني عليه الصحابة فقالوا: «سالم من الصالحين»

ويقول سالم في إحدىٰ المشاهد التي حضرها: «بئس حامل القرآن أنا، إذا أوتيتم من قبلي»[٤]

(١) «الزهد» لأحمد بن حنبل (ص ٣٢).

(٢) أخرجه البخاري (٣٨٠٨) واللفظ له، ومسلم (٢٤٦٤).

(٣) «لإحياء» (١/ ٣٧١) ورجال إسناده ثقات.

(٤) «البداية والنهاية» (٦/ ٣٣٧).

الخاتمة

والله أسأل أن يجعل هذا العمل القليل مباركًا نافعًا خالصًا لوجهه الكريم،

مُقرِّبًا لجامعه وقارئه وناشره من الفردوس الأعلي،

وأن ينفعني به في حياتي وبعد مماتي، وأن ينفع به كل من انتهي إليه.

إنه سميع مجيب قريب، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

والحمد لله رب العالمين

وصلي الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

أبو محمد

أسامة بن محمد البوصيري بن اسماعيل

الجمعة ٢٢ رجب ١٤٤٠هـ

٢٠١٩/٠٣/٢٩م

بثغر الأسكندرية

المصادر

- القرآن الكريم.
- تفسير بن كثير.
- تفسير القرطبي.
- تفسير السعدي.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء.
- صيد الخاطر.
- الشاطبية.
- الوافي شرح الشاطبية.
- التبيان اللغوي.
- أخلاق أهل القرآن للآجري.
- إحياء علوم الدين.
- الزهد لابن أبي حاتم.
- فيض القدير للمناوي.
- بدائع الفوائد.
- الوابل الصيب.
- تاريخ الإسلام.

- البداية والنهاية.
- مقدمة عمدة التفاسير لأحمد شاكر.
- الدارمي، فضائل الأعمال.

الفهرس

مقدمة ٣
بين يدي الكتاب ٤
الفصل الأول: مع القرآن ٦
الفصل الثاني: آداب حملة القرآن ١١
الفصل الثالث: أثر القرآن ١٧
الفصل الرابع: موانع الانتفاع بالقرآن ٢٣
الفصل الخامس: حكم قراءة القرآن بالألحان ٣٦
الفصل السادس: متي أكون له صاحبًا ٤٤
الفصل السابع: واجبات وحقوق صحبة القرآن ٤٨
الفصل الثامن: نموذج الشخصية القرآنية ٥٠
الخاتمة ٥٣
المصادر ٥٤